الفصل الثاني

تطــور سوسيولوجيــا التربيــة

obeikandl.com

من المعلوم أن سوسيولوجيا التربية أو سوسيولوجيا المدرسة فرع من فروع علم الاجتماع العام. ومن ثم، يهتم هذا الفرع بدراسة علاقة المدرسة بالمجتمع، في ضوء مقترب سوسيولوجي علمي أو تفاعلي تفهمي. ويعني هذا أن هذه السوسيولوجيا تقارب التربية بصفة عامة، والمدرسة بصفة خاصة ، في سياقها الواقعي والاجتماعي، وظروفها السياسية والاقتصادية والتاريخية والدينية والثقافية والحضارية. فضلا عن كونها تهتم بدراسة المدرسة من الداخل باعتبارها نسقا بنيويا وظيفيا، تقوم بأدوار عدة من أجل الحفاظ على نظام المؤسسة ، وتحقيق توازنها المطلوب. ومن جهة أخرى، تدرسها من الخارج على أساس أن المدرسة قاطرة للتنمية المجتمعية المستدامة .

ومن ثم، فما يهمنا في هذا الموضوع هو التوقف عند تطور سوسيولوجيا التربية أو سوسيولوجيا المدرسة في العالمين: الغربي والعربي بالدراسة والتحليل والتوثيق.

المبحث الأول: تطـور سوسيولوجيـا التربية في الغـرب

يمكن الحديث عن مجموعة من المراحل التي عرفتها سوسيولوجيا التربية، ويمكن حصرها في مرحلة البداية والتأسيس التي تمتد حتى حدود الحرب العالمية الثانية؛ ومرحلة التطور والازدهار إبان سنوات الستين والسبعين من القرن الماضي؛ ومرحلـــة المراجعة والتجاوز ما بين سنوات السبعين والثمانين؛ والمرحلة السوسيولوجيا المعاصرة إبان سنوات التسعين؛ ومرحلة الألفية الثالثة...

المطلب الأول: مرحلـــة الريادة والتأسيس

من المعلوم أن سوسيولوجيا التربية لم تظهر إلا في أواخر القرن التاسع عشر مع إميل دوركايم الذي يعد من الرواد الأوائل الذين اهتموا بسوسيولوجيا التربية منذ أواخر القرن التاسع عشر، حينما كان يحاضر في جامعة بوردو، ضمن الدروس البيداغوجية التي كان يقدمها للمدرسين.

وقد اهتم أيضا بالتنشئة الاجتماعية التي تقوم بها المدرسة، مع التساؤل عن طريقة تكوين المجتمعات لشبابها، ودور المدرسة في المجتمع. بيد أن محاضراته وكتاباته لم تجمع إلا بعد موته .

ومن أهم كتبه، في هذا المجال، نذكر: كتاب (**التربية الأخلاقية**)[١٨] الذي نشر ما بين سنتي ١٩٠٢و١٩٠٣م، حيث تناول فيه بعض المواضيع المتعلقة بالتربية ، مثل: علمانية الأخلاق، وعناصر الأخلاق، وروح الانضباط، والارتباط بالجماعات المجتمعية، واستقلالية الإرادة، والتربية الأخلاقية عند المتعلمين، والانضباط المدرسي، وسيكولوجيا المتعلم، والعقوبة المدرسية، والطفل والغير،وتأثيرات الوسط التربوي، وتدريس العلوم، والثقافة الجمالية، والتعليم التاريخي.

ثم أعقبه كتاب آخر هو (**التربية وعلم الاجتماع**)[١٩] ، وقد نشر سنة ١٩٢٢م، حيث أورد تعريفات للتربية في ضوء المقترب السوسيولوجي، مع التركيز على الطابع الاجتماعي للتربية، ودور الدولة في مجال التربية، وسلطة التربية ووسائل العمل، وطبيعة البيداغوجيا ومنهجيتها، والبيداغوجيا والسوسيولوجيا، وتطور التعليم الثانوي في فرنسا ودوره.

وعليه، يرى دوركايم أن المدرسة تساهم في التنشئة الاجتماعية بنقل قيم الأجداد إلى الأبناء والأحفاد. كما تعمل على إدماج الأفراد داخل المجتمع الكبير.ويعني هذا أن المدرسة مجتمع مصغر تكيف المتعلمين ليتأقلموا مع المحيط المجتمعي وقيمه وعاداته وقوانينه وأعرافه وتشريعاته. وبتعبير آخر، للمدرسة وظيفة التبيئة الاجتماعية، وخلق مواطنيين صالحين قادرين على التكيف مع المجتمع الخارجي. لذا، تقوم التربية الأخلاقية بدور هام في مجال التنشئة الاجتماعية، وتطبيع المتعلم اجتماعيا للتكيف مع الوضعيات المعطاة، وتكوين أشخاص مستقلين يحترمون ثقافة المجتمع العام...

---

[18] -Émile Durkheim, **L'éducation morale**, 1902-1903,PUF,nouv.éd.1963.

[19] - Émile Durkheim, **Éducation et sociologie**, 1922. PUF, nouv.éd.1966.

ولا ننسى كتابه الآخر (**التطور البيداغوجي في فرنسا**)[٢٠] الذي صدر سنة ١٩٣٨م، ويهتم بالتطور التاريخي للممارسة البيداغوجية الفرنسية في علاقتها ببنيتها المجتمعية.

بيد أن علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب يذهبان، في كتابهما (**علم الاجتماع المدرسي**)، إلى أن جون ديوي هو رائد علم الاجتماع التربوي بكتابه (**المدرسة والمجتمع**) الذي نشره سنة ١٨٩٩م[٢١]، حيث ركز فيه على المبادىء التالية:

❶ ربط المدرسة بالمجتمع.

❷ التربية عملية حياتية ، وليست عملية إعداد للمستقبل.

❸ الاهتمام بالموضوعات العملية والمهنية وبمبدإ الفعالية بصورة عامة.

❹ العلاقة بين الديمقراطية والتربية[٢٢].

ويقول الباحثان عن جون ديوي:" لقد شكلت أعمال جون ديوي(John Dewey)(1859-1952) المنطلق الأساسي لولادة علم الاجتماع المدرسي الحديث في نهاية القرن العشرين، حيث تمكن بعبقريته التربوية المعهودة، في نسق من أعماله المتواترة، أن يؤسس منهجية علمية رصينة للبحث في مجال المؤسسة التربوية. كان ديوي أول من أسس مدرسة تجريبية في عام ١٨٩٦، واستطاع عبر تجربته هذه أن ينشر أعمالا عظيمة في مجال التربية المدرسية، حيث نشر كتابه (**عقيدتي التربوية**) عام ١٨٩٧(**My Pedagogic Creed**)، ثم نشر كتابه المشهور (**المدرسة والمجتمع**) عام ١٨٩٩ (**The School and Society**)، ويشار في هذا الصدد إلى كتابه المعروف (**الديمقراطية والتربية**) عام ١٩١٦م (**Democracy and Education: an introduction to the philosophy of education**)."[٢٣]

---

[20] - Émile Durkheim: **L'évolution pédagogique en France**,Paris,PUF,nouv.édition 1969.

[٢١] - جون ديوي: **المدرسة والمجتمع**، ترجمة: أحمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بغداد، العراق، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

[٢٢] - جون ديوي: **المدرسة والمجتمع**،ص:٢٠.

[٢٣] - علي أسعد وظفة وعلي جاسم الشهاب: **علم الاجتماع المدرسي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م، ص:٨-٩.

وبعد هذين الرائدين، ظهرت كتب أخرى، هنا وهناك، تهتم بالمدرسة في أبعادها المجتمعية، مثل: دراسة ألفرد بينيه (A.Binet) حول البيداغوجيا التجريبية التي تسعى إلى تشخيص الفشل الدراسي، ووضع مقاييس الذكاء. وقد اهتم ألفرد بينيه، في كتابه **(الأفكار المعاصرة حول الأطفال)**[٢٤]، بالتشخيص التجريبي للإخفاق المدرسي، ودراسة الدوسيمولوجيا في تقويم فعالية المقررات الدراسية..

ويمكن الحديث أيضا عن مجموعة من الدارسين والفلاسفة والباحثين الذين اهتموا بسوسيولوجيا المدرسة إما بشكل صريح، وإما بشكل ضمني، أمثال: كارل ماركس(Karl marx) في كتابه**(رأس المال)**[٢٥] ، وماكس فيبر(Max Weber) في كتابه (**الاقتصاد والمجتمع**)[٢٦] ، وبول لاپي(Paul Lapie)[٢٧] في كتابه(**المدرسة والمجتمع**)، وثورستاين فيبلين (Thorstein veblen)[٢٨] في كتابه (**التعليم العالي في أمريكا**)، ووالر(Waller)[٢٩] في كتابه (**سوسيولوجيا التدريس**)...وقد امتدت هذه المرحلة إلى غاية سنوات الخمسين من القرن العشرين.
وبعد الحرب العالمية الثانية، تطورت المؤسسة التربوية بتطور النمو الديمغرافي، وارتباطها بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وأضحت مشاكل المؤسسة التعليمية متفاقمة بتزايد الإقبال على المدرسة،

---

[24]- A.Binet **:** **Les idées modernes sur les enfants,** Paris, Flammarion. Réédité en 1973 avec une préface de Jean Piaget. 1919.
[25] -K.Marx : **Le capital**, M. Lachâtre (Paris) 1872.
[26] - Max Weber**: Economie et société**, introduction de Hinnerk Bruhns, traduction par Catherine Colliot-Thélène et Françoise Laroche, La Découverte, 1998.
[27] - LAPIE. P., **École et société**, textes choisis, introduits et présesentés par Hervé Terral, Paris, L'Harmattan, coll. "Logiques sociales", 2003.
[28] - VEBLEN T. [1918] ***The Higher Learning in America***. *A Memorandum on the Conduct of Universities by Business Men*, Stanford, Academic Reprints.1954.
[29] - Waller W.: **The Sociology of Teaching**, New York, Russel & Russel, 1932.

والسعي نحو تقوية هذه المؤسسة ، والبحث عن استقلاليتها المادية والمالية والمعنوية. وفي الوقت نفسه، تطورت سوسيولوجيا المدرسة بشكل لافت للانتباه، بفضل تعدد مراكز البحث والمختبرات العلمية التي تعنى بدراسة المدرسة في علاقتها بالمحيط المجتمعي، ونشرت آلاف من الكتب في هذا النطاق، وخاصة ما كتبه كارل مانهايم (Karl Manheim)[٣٠]، مثل: **(السوسيولوجيا كسياسة للتربية)**...

بيد أن علم الاجتماع التربوي له تاريخ آخر في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد استخدم مصطلح سوسيولوجيا التربية (Educational Sociology)" لأول مرة في كلية المعلمين بجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٠م، كعلم يدرس في المعاهد العليا على يد البروفسور هنري سوزالو (Henry Sozzallo) ، واستخدم هذا المصطلح فيما بعد هذا التاريخ كعلم مستقل، وما أن جاء عام ١٩١٤م وصار هناك حوالي ١٦ جامعة أمريكية تدرس مواد بعنوان علم الاجتماع التربوي، وفي حين كان هناك حوالي ٦٠ جامعة في أمريكا تدرس علم الاجتماع العام وفروعه المختلفة (غير التربوي).

وما أن جاء عام ١٩٣٣م حتى تم تأسيس وتنظيم الجمعية الوطنية لدراسة علم الاجتماع التربوي، وقامت هذه الجمعية بنشر ثلاثة كتب سنوية خلال الأعوام ١٩٣٣-١٩٣١م، ثم توقفت هذه النشرات عن الصدور، لأن نشرة أخرى أسسها البروفسور بين (E.G.Payne) عام ١٩٢٨م، أصبحت هي النشرة الرسمية للجمعية بعد ذلك.

ومع مرور الأيام صار علماء الاجتماع المهتمون بالتربية يلتقون في اجتماعات سنوية باسم فرع علم الاجتماع التربوي للجميعة الأمريكية لعلم الاجتماع.

وكان تدريس علم الاجتماع التربوي يتأرجح بين الازدهار والتراجع، وذلك لاستبدال بعض المؤسسات التربوية من كليات التربية ومعاهد المعلمين تدريس مواد اجتماعية بأسماء أخرى بدلا من اسم علم الاجتماع التربوي.وعلى الرغم من ذلك استمر تدريس هذا العلم في المعاهد العليا

---

[30] - Karl Mannheim, **Sociology as Political Education**. (Edited and translated, with Colin Loader). New Brunswick: Transaction Publishers 2001.

والجامعات، وصارت تعطى بهذا العلم الدرجات العلمية العليا في الماجستير والدكتوراه، ولايزال علم الاجتماع التربوي يدرس في الجامعات الأمريكية والأوروبية، ولكن دخوله للجامعات العربية جاء متأخرا."[٣١]

ويعني هذا كله أن سوسيولوجيا التربية ظهرت - أولا- في الولايات المتحدة الأمريكية، ففرنسا ثانيا، ثم انتقلت إلى باقي البلدان الأخرى.

المطلب الثاني: مرحلة التطور والازدهار

لم تعرف سوسيولوجيا التربية تطورها الحقيقي إلا في سنوات الستين من القرن الماضي؛ إذ كانت هذه الفترة مرحلة التطور والازدهار العلمي والمنهجي لهذه السوسيولوجيا مع مجموعة من الباحثين ، أمثال: الفرنسيين: بيير بورديو(Pierre Bourdieu)[٣٢]، وكلود باسرون-(Jean-Claude Passeron)[٣٣]، ورايمون بودون(Raymond Boudon)[٣٤]، وإستابليت[٣٥](Roger Establet)، وكريستيان بودلو(Christian Baudelot)[٣٦]؛ والبريطاني بيرنشتاين(Bernstein)[٣٧]، والأمريكيين: باولز (Bowles)[٣٨]، وجينتيس(Gintis)[٣٩] ...

---

[٣١] - إبراهيم ناصر: **علم الاجتماع التربوي**، دار الجيل بيروت، لبنان؛ مكتبة الرائد العلمية عمان الأردن،، ب.ت، ص:٧-٨.

[32]- Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, ***Les héritiers : les étudiants et la culture*****,** Paris, Les Éditions de Minuit, coll. « Grands documents » (n° 18), 1964, 183 p.

[33]-Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, ***Les héritiers : les étudiants et la culture*****,** Paris, Les Éditions de Minuit, coll. « Grands documents » (n° 18), 1964, 183 p.

[34]- Raymond Boudon**: *L'inégalité des chances***, Paris, Armand Colin, 1973 (publication poche : Hachette, Pluriel, 1985).

[35] -Roger Establet et Christian Baudelot**, *L'école capitaliste en France***, Paris, Maspero, 1971.

[36]- Roger Establet et Christian Baudelot**, *L'école capitaliste en France***, Paris, Maspero, 1971.

ويمكن القول :إن بيير بورديو وكلود باسرون هما اللذان أعطيا ولادة ثانية لسوسيولوجيا التربية، وقد انطلقا من فرضية سوسيولوجية أساسية هي: لايملك المتعلمون الحظوظ نفسها في تحقيق النجاح المدرسي. وقد ترتب عن هذا الاختلاف في الحظوظ تنوع طبقي ومجتمعي، ووجود فوارق فردية داخل الفصل الدراسي نفسه. ومن ثم، فقد قادت الأبحاث السوسيولوجية والإحصائية التي أجراها كل من بورديو وباسرون إلى استنتاج أساسي هو أن الثقافة التي يتلقاها المتعلم، في المدرسة الفرنسية الرأسمالية، ليست ثقافة موضوعية ومحايدة، بل هي تعبير عن الثقافة المهيمنة أو ثقافة الطبقة الحاكمة. ومن ثم، فالتنشئة الاجتماعية ليست تحريرا للمتعلم، بل إدماجا له في المجتمع في إطار ثقافة التوافق والتطبيع والانضباط المجتمعي.ومن ثم، تعيد لنا المدرسة الطبقات الاجتماعية نفسها عن طريق الاصطفاء والانتقاء والانتخاب.ومن ثم، فهي مدرسة اللامساواة الاجتماعية بامتياز.

ويعني هذا كله أن سوسيولوجيا التربية النقدية قد عرفت منحنى مهما في سنوات الستين إلى غاية سنوات السبعين، واتخذت بعدا علميا أكثر مما هو سياسي، بعد أن توسعت الهوة بين النظرية والتطبيق، أو بين المؤسسة التربوية والمجتمع، وخاصة بعد تحول المدرسة الرأسمالية إلى فضاء للتطاحن والصراعات الاجتماعية والطبقية، أو تحولها إلى مؤسسة تنعدم فيها العدالة الطبقية، وتغيب فيها المساواة على مستوى الفرص والحظوظ؛ حيث الفشل والإخفاق مآل أبناء الطبقات الشعبية. في حين، يكون النجاح حليف أبناء الطبقات الغنية وأبناء الطبقة الحكمة.أي: أصبحت مدرسة فارقية بامتياز أو مدرسة للانتقاء والاصطفاء الطبقي والتمييز الاجتماعي.

ويعني هذا أن السؤال الذي ركزت عليه سوسيولوجيا التربية، في سنوات الستين والسبعين، هو سؤال اللامساواة المدرسية التي تعكس اللامساواة

---

[37]- Bernstein B., **Class, codes and control**, London, Routledge & Kegan Paul, 3 vol., 1971-1975.

[38] - Bowles S., Gintis H**., Schooling in Capitalist America**, New York, Basic Books, 1976.

[39] - Bowles S., Gintis H**., Schooling in Capitalist America**, New York, Basic Books, 1976.

الطبقية والاجتماعية. وتعكس مدى اختلاف أبناء الطبقات العمالية عن أبناء الطبقات المحظوظة، واختلاف المستوى التعليمي الطويل الذي يرتاده أبناء الطبقات المحظوظة، والتعليم القصير الذي يكون من حظ أبناء الطبقات الدنيا، ولاسيما أبناء الطبقات العمالية وأبناء المهاجرين .لذا، كان التوجه الماركسي النقدي الجديد يغلب على هذه السوسيولوجيا الصراعية. والدليل على ذلك الثورة العارمة على المدرسة الرأسمالية التي كانت مدرسة طبقية بامتياز، وخاصة ثورة ١٩٦٨م. وكان البديل هو دمقرطة التعليم، وتحقيق المساواة الاجتماعية الشاملة، والحد من الفوارق البيداغوجية والديدكتيكية والثقافية والطبقية والمجتمعية، وخلق مدرسة موحدة تحقق النجاح لجميع المتعلمين بدون تمييز أو انتقاء أو اصطفاء.

وعليه، يمكن القول: إن دراسات بيير بورديو هي، في الحقيقة، نقد للدراسات الكلاسيكية حول سوسيولوجيا التربية؛ إذ اعتمدت على المقاربة الماركسية الجديدة في دراسة المدرسة الفرنسية بصفة خاصة، والمدرسة الرأسمالية بصفة عامة، بغية الدفاع عن مشروع التعليم الديموقراطي.

ومن أهم الباحثين السوسيولوجيين المعاصرين الذين تركوا بصمات واضحة في مجال سوسيولوجيا التربية نذكر : ببير بورديو (P.Bourdieu) وكلود باسرون(Passeron) في كتابيهما (**الورثة**)[٤٠]، و(**إعادة الإنتاج**)[٤١]، ورايمون بودون في كتابه (**عدم المساواة في الحظوظ**)[٤٢]، وكلود كرينيون(Claude Grignon[٤٣]) في كتابه(**نظام الأشياء**)، والبريطاني بازيل بيرنشتاين (Basil Bernstein) في كتابه

---

40 -Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, **Les héritiers : les étudiants et la culture,** Paris, Les Éditions de Minuit, coll. « Grands documents » (no 18), 1964, 183 p

41 -Pierre Bourdieu et Jean-Claude Passeron, **La reproduction : Éléments d'une théorie du système d'enseignement,** Les Éditions de Minuit, coll. « Le sens commun », 1970, 284 p

42- Bodoun: **L'inégalité des chances**, Paris, Armand Colin, 1973 (publication poche : Hachette, Pluriel, 1985).

43 -Claude Grignon : **L'Ordre des choses, *les fonctions sociales de l'enseignement technique***, Minuit, Paris, 1971

(**اللغة والطبقات الاجتماعية**)[٤٤] ، ومحمد الشرقاوي في مجموعة من كتبه، مثل: (**سوسيولوجيا التربية**)[٤٥]،و(**تحولات النظام التربوي بفرنسا**)[٤٦]، و(**مفارقات النجاح المدرسي**)[٤٧]، وفيفيان إيزامبير جماتي (**Viviane Isambert-Jamati**) في كتابيها(**أزمات المجتمع وأزمات التعليم**)[٤٨]، و(**الإصلاح التربوي الفرنسي في التعليم الأساسي**)[٤٩]، وجان ميشيل بيرتيلو (Jean-Michel Berthelot) في كتابه (**المدرسة، والتوجيه، والمجتمع**) [٥٠]، وبودلو وإستابليت(Baudelot et Establet) في كتابهما (**المدرسة الرأسمالية في فرسا**)[٥١]، وآن فان هايشت(Anne Van Haecht) في كتابها (**المدرسة في محك السوسيولوجيا أو سوسيولوجيا التربية وتطوراتها**)[٥٢]، وماري دورو بيلا وأنيس ڤان

---

[44] -Basil Bernstein**, Langage et classes sociales** – Codes socio-linguistiques et contrôle social, Paris, Éditions de Minuit, 1975

[45] - Mohamed Cherkaoui: **Sociologie de l'éducation**, Que sais-je, PUF, 5 édition 1999.

[46]- Mohamed Cherkaoui :**Les changements du système éducatif en France** 1950-1980, PUF, 1982.

[47] - Mohamed Cherkaoui: **Les paradoxes de la réussite scolaire**, PUF, "L'éducateur", 1985 .

[48]-Viviane Isambert-Jamati: **Crises de la société, crises de l'enseignement : sociologie de l'enseignement secondaire français**, Presses universitaires de France, coll. « Bibliothèque de sociologie contemporaine », Paris, 1970

[49] - Viviane Isambert-Jamati: **La Réforme de l'enseignement du français à l'école élémentaire**, Éditions du CNRS, coll. « Actions thématiques programmées : sciences humaines », Paris, 1977.

[50] - **Jean-Michel Berthelot**: **École, orientation, société (Pédagogie d'aujourd'hui),**Paris,PUF,1993.

[51] - Baudelot et Roger Establet: **L'école capitaliste en France**, Paris, Éditions Maspero, 1971.

[52] -Anne Van Haecht**:L'école à l'épreuve de la sociologie**, Collection : Ouvertures sociologiques ,De Boeck Supérieur,Bruxelles, 2006.

Obeikandl.com

زانتين (Marie Duru-Bellat, Agnès Van Zanten) في كتابهما **(سوسيولوجيا المدرسة)**[٥٣]...

المطلب الثالث: مرحلـــة المراجعة والتجاوز

ومع سنوات السبعين من القرن الماضي، ظهرت سوسيولوجيا تربوية في الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على التفهم أو المناهج التأويلية والمقاربة الهرمونيطيقية ذات المنحى الفينومينولوجي والإثنومنهجي، فركزت جل أعمالهـــا وأبحاثهـــا النظريـــة والتطبيقيـــة علـــى الظـــواهر التربويـــة الميكرومجتمعية بدل الظواهر الماكرومجتمعية. وقد جاءت رد فعل على المقاربـات المعياريـة والوظيفيـة والماركسـية الجديـدة. ثـم اعتمـدت علـى الإثنوغرافيـا، وعلـم الـنفس الاجتمـاعي، والتـاريخ، ونظريـات التنشـئة الاجتماعيـة، وكانـت البنيويـة الوصـفية مهيمنـة فـي هـذه الدراسـات. وقـد ركزت هذه السوسيولوجيا على أبنية الأدوار، ومصير المدرسة، والمناهج التربوية، وتطور المؤسسة التعليمية...

وبعـد النظـرة السـوداوية المتشـائمة إلـى المدرسـة الرأسـمالية، ظهـرت دراسات لمجموعة من الباحثين متسمة بطابع التفاؤل ، بعد النجاح النسبي للأنظمة التربوية الغربية، ووضوح المعايير والقوانين، كما يبدو ذلك جليا فـي كتابـات كـل مـن : محمـد الشـرقاوي(Cherkaoui)[٥٤]، وروتـر (Rutter)[٥٥]، وهالسـي(Halsey)[٥٦]، وكولمـان (Coleman)[٥٧]، وشـوب ومو (Chubb et Moe)[٥٨] ...

---

53 -Marie Duru-Bellat, Agnès Van Zanten: **Sociologie de l'école**, Collection :U, Cycles M et D, UNIVERSITE,2012.

54 -Cherkaoui M., **Les Paradoxes de la réussite scolaire**, Sociologie comparée des systèmes d'enseignement, Paris, PUF, 1979.

55 - Rutter M., **Fifteen Thousand Hours, Secondary schools and their effects on children**, Cambridge, Harvard University Press, 1979.

56 - Halsey A.H., Heath A.F., Ridge J.M., **Origins and Destinations. Family, Class, and Education in Modern Britain**, Oxford, Clarendon Press, 1980.

المطلب الرابع: المرحلـــة السوسيولوجية المعاصرة

تمتد المرحلة السوسيولوجية المعاصرة من سنوات الثمانين من القرن الماضي حتى أواخر سنوات التسعين. فقد انصب الاهتمام على المناهج الدراسية ، وإعادة النظر في المحتويات والمقررات الدراسية، ورصد تاريخ المعارف، والاهتمام بالمؤسسات التعليمية من جهة أولى، والعناية بالطرائق البيداغوجية من جهة ثانية، والتركيز على المدرسين من جهة ثالثة. ويعني هذا كله ضرورة تشخيص العملية الديدكتيكية أو العملية التعليمية-التعلمية بوصفها وتحليلها وتقويمها ، بتحديد سلبياتها وإيجابياتها، بعيدا عن التصورات الذاتية و السياسية والإيديولوجية.

وقد عرفت هذه المرحلة مجموعة من الكتابات السوسيولوجية التي ارتبطت بالتربية والمدرسة على حد سواء، منها كتابات الباحثين السويسريين فيليب بيرنود وكليوباترا مونتاندون (Philippe Perrenoud et Cléopâtre Montandon,) اللذين كتبا مجموعة من الدراسات والأبحاث عن صعوبات التواصل بين المدرسين والآباء ، ولاسيما المنحدرين من أصول شعبية ، كما يتضح ذلك جليا في كتابهما (**الحوار المستحيل بين الآباء والمدرسين**)[٥٩]؛ وريجين سيروتا (Régine Sirota) في كتابها (**يوميات المدرسة الابتدائية**)[٦٠]، حيث ركزت الباحثة على التصرفات اليومية للمدرس في علاقاته بتلامذته (كثرة النظر، والابتسامات، والتهاني، والأسئلة)، وعلاقة ذلك بجذورهم الاجتماعية.

---

57 - Coleman J.S., **Equality and Achievement in Education**, San Francisco,Westview Press, 1990.

58 - Chubb J.E. et Moe T.M., **Politics, Markets and America's Schools**, Washington D.C., The Brookings Institution, 1990.

59 - Philippe Perrenoud et Cléopâtre Montandon: **Entre parents et enseignants, un dialogue impossible,** Berne, Peter Lang.1987.

60 - Sirota R. (1988) **: *L'Ecole primaire au quotidien*** coll. Pédagogie d'aujourd'hui, ed. Presses universitaires de France, 200 pages

أمـا فرانسـوا دوبـي (François Dubet)، فيهـتم بحيـاة تلاميـذ التعلـيم الثانوي، ورصد معاناتهم داخل المدرسة ، كما يتبين ذلك جليا في كتابه (**تلاميذ الثانوي**) الذي ألفه سنة ١٩٩١م[٦١] . ويصف الباحث كذلك الحياة المدرسية التي يعيشها المراهق داخل المؤسسة التربوية، وخاصة في كتابه(**إلى المدرسة : سوسيولوجيا التجربة المدرسية)** الذي ألفه مع دانيلو مارتيشولي (Danilo Martuccelli) سنة ١٩٩٦م[٦٢]. ويركز الباحثان معا على الفجوة الموجودة بين ذاتية المراهق ذي الأصول الشعبية وعملية التطبيع الاجتماعي، ومسافة التوتر التي توجد بين الحالتين. أي: بين الثقافة الشعبية للعائلة وثقافة المدرسة؛ مما يخلق نوعا من الفشل في الاندماج وتحقيق النجاح. وهناك آن بارير (Anne Barrère) في كتابها (**عمل تلاميذ الثانوي**) الذي نشرته سنة ١٩٩٧م، وقد تحدث الكتاب عن العمل المدرسي في ضوء سوسيولوجيا الشغل[٦٣].

وثمة مجموعة من الباحثين الذين عمقوا إشكالية العمل المدرسي، أمثال: إليزابيت بوتي، وبرنار شارلو، وجان إيف روشي (Elisabeth) Bautier, Bernard Charlot et Jean-Yves Rochex)، في كتابهم (**المدرسة و المعرفة في الضواحي وغيرها**) ، وقد نشر سنة١٩٩٢م[٦٤]...

---

61 - François Dubet ***: Les Lycéens***, Seuil,Paris, 1991.

62 - François Dubet ***: À l'école. Sociologie de l'expérience scolaire*** avec Danilo Martuccelli, Seuil, 1996.

63 - Anne Barrère, ***Les lycéens au travail*,** Paris, PUF, 1997 (262 pages)

64 - Charlot Bernard, Bautier Elisabeth, Rochex Jean-Yves : ***Ecole et savoir dans les banlieues... et ailleurs.*** Éd. Armand Colin Coll. Formation des enseignants. 1993.

المطلب الخامس: مرحلـــة الألفيـــة الثالثـــة

أصبحت المدرسة ، في سنوات الألفية الثالثة، ظاهرة مركبة ومعقدة، ومن اللازم أن تقوم بأدوار أخرى غير الأدوار التي كانت تقوم بها سابقا، فبالإضافة إلى دور الإدماج والتنشئة الاجتماعية، وتقديم ثقافة موحدة ومعممة، أصبح هم المدرسة الأساس هو تأهيل المتعلمين تأهيلا جيدا للتوافق مع قانون الطلب والعرض الذي تستوجبه السوق الرأسمالية، بتطوير كفاءاتهم المهنية والأدائية والإنجازية ، وتنمية مهاراتهم التطبيقية للاندماج في سوق الشغل، بخلق مجموعة من الوضعيات المشكلات لإيجاد حلول مناسبة لها. ويعني هذا أن التعلم بالوضعيات هو الشاغل الأساس للبيداغوجيا المعاصرة ، وأصبح الاهتمام منصبا على بيداغوجيا الكفايات، والأخذ بالشهادات الكفائية بدل الشهادات المعرفية النظرية، علاوة على الاهتمام بالتكوين المهني والاحترافي. ويعني هذا أن وظيفة المدرسة الرئيسية هي وظيفة التكوين والتأهيل والتمهير، وخلق الكفاءات المتمكنة القادرة على التأقلم مع الوضعيات الحياتية المعقدة والصعبة.

وهكذا، فعلى " امتداد القرن العشرين تفجرت ينابيع البحث السوسيولوجي في مجال المدرسة والمؤسسات الأخرى التربوية، وجاء حصاد هذه الأعمال بلورة لعلم الاجتماع المدرسي بوصفه النواة الحقيقية لعلم الاجتماع التربوي.لقد تقاطرت الدراسات والأبحاث السوسيولوجية في ميدان المدرسة والمؤسسات المدرسية وشكلت نتائجها نظاما متماسكا من المقولات والمفاهيم والنظريات السوسيولوجية ومناهج البحث التي تؤسس لعلم اجتماع خاص هو علم الاجتماع المدرسي. وهناك آلاف مؤلفة من الكتب والدراسات والأبحاث المكثفة التي عالجت جوانب الحياة المدرسية بتفاعلاتها وأنظمتها الداخلية وقضاياها التربوية والاجتماعية."[٦٥]

ونخلص من هذا كله إلى أن سوسيولوجيا التربية أو المدرسة قد عرفت، في الغرب ، أربع مراحل كبرى هي: مرحلة التأسيس من القرن التاسع عشر إلى سنوات الخمسين من القرن العشرين؛ ومرحلة التطور والازدهار مابين سنوات الستين والسبعين؛ ومرحلة المراجعة والتجاوز ما

[٦٥] - علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب: نفسه، ص:٩-١٠.

بين السبعين والثمانين ؛ ومرحلة السوسيولوجيا المعاصرة في سنوات التسعين؛ ومرحلة سنوات الألفية الثالثة.

المبحث الثاني: سوسيولوجيا التربية في الوطن العربي

ثمة مجموعة من الكتب ، على الصعيد العربي، التي تناولت سوسيولوجيا التربية أو المدرسة، إما بشكل جزئي، وإما بشكل كلي . ومن أهم هذه الكتب نذكر: كتاب **(دراسات في سوسيولوجيا التربية)** لعلي أسعد وطفة وعبد الله شمت المجيدل [٦٦]،و(**علم الاجتماع المدرسي)** لعلي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب[٦٧]، و(**التربية والإيديولوجية)** لشبل بدران[٦٨]، وفايز مراد دندش في كتابه (**علم الإجتماع التربوي بين التأليف والتدريس**)[٦٩]، وفادية عمر الجولاني في كتابها (**علم الاجتماع التربوي**)[٧٠]، وحمدي علي أحمد في كتابه (**مقدمة في علم اجتماع التربية**)[٧١]، وعبد السميع السيد أحمد في كتابه (**دراسات في علم الاجتماع التربوي**)[٧٢] ، وعلي السيد الشخيبي في كتابه (**علم اجتماع التربية المعاصر**)[٧٣]، وعبد الله الرشدان في كتابه (**علم الاجتماع التربوي**)[٧٤]، وحسن حسين البيلاوي في كتابه

---

[٦٦]- أسعد وطفة وعبد الله شمت المجيدل : **دراسات في سوسيولوجيا التربية**، دار الإعصار العلمي، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥م.

[٦٧]- علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب: **علم الاجتماع المدرسي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة٢٠٠٤م.

[٦٨]- شبل بدران: **التربية والإيديولوجية**، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة١٩٩١م.

[٦٩] - فايز مراد دندش: **علم الإجتماع التربوي بين التأليف والتدريس**، دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر، الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م.

[٧٠]- فادية عمر الجولاني: **علم الاجتماع التربوي**، مركز الاسكندرية للكتاب. طبعة ١٩٩٧م

[٧١]- حمدي علي أحمد: **مقدمة في علم اجتماع التربية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. طبعة ١٩٩٥م.

[٧٢]- عبد السميع سيد أحمد: **دراسات في علم الاجتماع التربوي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، طبعة ١٩٩٣م.

[٧٣]- علي السيد الشخيبي: **علم اجتماع التربية المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة ٢٠٠٢م.

[٧٤]- عبد الله الرشدان: **علم الاجتماع التربوي**، دار عمان للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، طبعة ١٩٨٦م.

(**الإصلاح التربوي في العالم الثالث**)[٧٥]، وعبد الله رشدان في كتابه (**علم اجتماع التربية**)[٧٦]، وسمية أحمد السيد في كتاب (**علم اجتماع التربية**)، وفرحان حسن بريخ في كتابه (**المدرسة والمجتمع**)[٧٧]، ورنده خليل سالم في كتابها(**المدرسة والمجتمع**)[٧٨]، وحسن أحمد الطعاني في كتابه (**مفاهيم تربوية: المدرسة والمجتمع**)[٧٩]، و إبراهيم ناصر في كتابه (**علم الاجتماع التربوي**)[٨٠]...إلخ

ومن جهة أخرى، يمكن الحديث عن مجموعة من الكتب والدراسات المتعلقة بسوسيولوجيا التربية أنجزها باحثون مغاربة أمثال: محمد عابد الجابري في كتابيه (**أضواء على مشكل التعليم بالمغرب**[٨١]) (**ورؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية**)[٨٢] ، وخالد المير وإدريس قاسمي وآخرون في كتابهم(**أهمية سوسيولوجيا التربية ، والمدرسة ووظائفها**)[٨٣]، والصديق الصادقي العماري في كتابه (**التربية والتنمية وتحديات المستقبل: مقاربة سوسيولوجية**)[٨٤]، وعبد النور إدريس

---

[٧٥]- حسن حسين البيلاوي: **الإصلاح التربوي في العالم الثالث**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، طبعة ١٩٨٨م.

[٧٦]- عبد الله رشدان: **في علم اجتماع التربية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م.

[٧٧]- فرحان حسن بريخ: **المدرسة والمجتمع**، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.

[٧٨]- رنده خليل سالم: **المدرسة والمجتمع**،مكتبة المجتمع العربي، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

[٧٩]- حسن أحمد الطعاني : **مفاهيم تربوية: المدرسة والمجتمع، رؤية معاصرة**، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م.

[٨٠] - إبراهيم ناصر: **علم الاجتماع التربوي**، دار الجيل بيروت، لبنان؛ ومكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، د.ت.

[٨١]- محمد عابد الجابري: **أضواء على مشكل التعليم بالمغرب** ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م.

[٨٢]- محمد عابد الجابري: **رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية** ،دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٧م.

[٨٣]- خالد المير وإدريس قاسمي وآخرون : **أهمية سوسيولوجيا التربية ، والمدرسة ووظائفها**، سلسلة التكوين التربوي، العدد ٣، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٥م.

[٨٤]- الصديق الصادقي العماري:**التربية والتنمية وتحديات المستقبل: مقاربة سوسيولوجية**، مطبعة بلفقيه، الرشيدية، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م.

(**سوسيولوجيا التمايز:ظاهرة الهدر الدراسي بالمغرب**)[٨٥]،وعبد الكريم غريب في (**سوسيولوجيا التربية**) [٨٦]و(**سوسيولوجيا المدرسة**)[٨٧]، ومحمد فاوبار في كتابه (**سوسيولوجيا التعليم بالوسط القروي**)[٨٨]، ومصطفى محسن في كتبه (**الإطار السوسيولوجي العام للنظام التربوي**)[٨٩] و(**في المسألة التربوية ، نحو منظور سوسيولوجي منفتح**)[٩٠] و(**الخطاب الإصلاحي التربوي بين أسئلة الأزمة وتحديات التحول الحضاري، رؤية سوسيولوجية نقدية**[٩١]) و(**مدرسة المستقبل**)[٩٢] و(**رهانات تنموية - رؤى سوسيوتربوية وثقافية ونقدية**)[٩٣] ، والمصطفى حدية في كتابه (**الشباب، التربية والتغيير الاجتماعي**)[٩٤]، وهلم جرا...

---

[٨٥]- عبد النور إدريس: **سوسيولوجيا التمايز:ظاهرة الهدر الدراسي بالمغرب**، دار دفاتر الاختلاف، مكناس، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م.

[٨٦]- عبد الكريم غريب: **سوسيولوجيا التربية**، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م.

[٨٧]- عبد الكريم غريب: **سوسيولوجيا المدرسة**، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.

[٨٨]- محمد فاوبار: **سوسيولوجيا التعليم بالوسط القروي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م.

[٨٩]- مصطفى محسن : **الإطار السوسيولوجي العام للنظام التربوي**، سلسلة من أجل كتاب تربوي نفسي واجتماعي مغربي، منشورات مجلة التربية والتعليم، الرباط، ملحق بالعدد١٧، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.

[٩٠]- مصطفى محسن: **في المسألة التربوية ، نحو منظور سوسيولوجي منفتح**، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م.

[٩١]- مصطفى محسن: **الخطاب الإصلاحي التربوي بين أسئلة الأزمة وتحديات التحول الحضاري، رؤية سوسيولوجية نقدية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.

[٩٢]- مصطفى محسن: **مدرسة المستقبل، رهان الإصلاح التربوي في عالم متغير**، منشورات الزمن، سلسلة شرفات رقم ٢٦،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.

[٩٣]- مصطفى محسن: **رهانات تنموية ، رؤى سوسيوتربوية وثقافية ونمائية**، منشورات الزمن، سلسلة شرفات رقم ٣٣،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١١م.

[94]- Elmostafa Haddiya: **Jeunesse, éducation et changement social**, Rabatnet, Rabat, Maroc, 1édition 2014.

وخلاصة القول، إذا كانت سوسيولوجيا التربية ، في العالم الغربي، قد حظيت بدراسات ومؤلفات وكتب ومقالات كثيرة ، وبمنهجيات مختلفة، وضمن مدارس متنوعة، فمازالت سوسيولوجيا التربية ، في وطننا العربي، عالة على نظيرتها الغربية، وذلك بتتبع خطواتها العلمية ، ودراسة المواضيع والمشاكل والقضايا والمحاور نفسها التي ناقشتها سوسيولوجيا التربية في الغرب، مع تمثل نظرياتها ومناهجها وطرائقها إما بشكل جزئي وإما بشكل كلي .

obeikandl.com